

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ

قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُلَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 30]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

ذَكَرَ خَوْضَ
بَعْضِ النِّسَاءِ
فِي الْحَادِثَةِ
السَّابِقَةِ، بَعْدَ
شَهْوَدِهَا أَوْ
السَّمَاعِ عَنْهَا

بعد الحكم الذي أصدره العزيز على يوسف ﷺ بكتّمان الأمر، وعلى زليخا بالاستغفار من الوزر، انتقل الخبر إلى نساء بعض الوزراء، فاجتمعن في بيت إحداهن وتحدثن بما هو لوم لامرأة العزيز؛ إذ راودت عبداً لها كنعانياً عن نفسه، وهو ما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾⁽¹⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿فَتَلَهَا﴾: الفتى: الطري والكريم من الشبان، والأنثى فتاة، يُقال: فتى بين الفتاء؛ أي: طري السن، ويُعبر بالفتى، والفتاة عن العبد والأمة⁽²⁾ وهو المراد هنا.

(2) ﴿شَغَفَهَا﴾: الشغاف: حجاب القلب، وقيل: حبة القلب وسويداؤه، وشغفه الحب، يشغفه شغفاً وشغفاً: وصل إلى شغاف قلبه، وأصل الشغف: الإحاطة بالشيء من ظاهره، كشغاف القلب⁽³⁾، وشغف بالشيء: أُلغ به⁽⁴⁾، ومعنى: ﴿شَغَفَهَا حُبًّا﴾: غطى على قلبها، وأحاط به كالشغاف، ووصل حب يوسف إلى شغاف قلبها فدخل تحته، حتى غلب على قلبها⁽⁵⁾.

(3) ﴿ضَلَّالٍ﴾: الضلال ضد الهدى، يقال: ضل في الأمر، يضل

(1) الجزائري، أيسر التفاسير: 608/2.

(2) ابن منظور، لسان العرب، والشمين الحلبي، عمدة الحفاظ، والزاغبي، المفردات: (فتى).

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي للوصل: (شغف).

(4) ابن سيده، للحكم: 5/395، والجوهري، الصحاح: (شغف).

(5) ابن جرير، جامع البيان: 16/63، والخازن، لباب التأويل: 2/525.

ضَلَالًا؛ إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لَهُ⁽¹⁾، يُقَالُ: ضَلَّ عَنْ الطَّرِيقِ: تَاهَ وَابْتَعَدَ، وَعَكْسُهُ: اهْتَدَى، وَضَلَّتْ بَعِيرِي؛ إِذَا كَانَ مَعْقُولًا فَلَمْ يَهْتَدِ لِمَكَانِهِ، وَأَضَلَّتْهُ؛ إِذَا كَانَ مُطْلَقًا فَمَرَّ وَلَمْ تَدْرَ أَيْنَ أَخَذَ، وَضَلَّ الشَّيْءُ: إِذَا ضَاعَ، وَضَلَّ الرَّجُلُ، إِذَا جَارَ عَنِ الْقَصْدِ⁽²⁾، وَمِنَ الْمَجَازِ: ضَلَّ فِي الدِّينِ، وَقَدْ ضَلَّلَتْهُ: نَسَبَتْهُ إِلَى الضَّلَالِ، وَوَقَعَ فِي أَضَالِيلٍ وَأَبَاطِيلٍ، وَقَدْ تَمَادَى فِي أَضَالِيلِ الْهَوَى⁽³⁾، وَأَصْلُ الضَّلَالِ يَدُلُّ عَلَى ضِيَاعِ الشَّيْءِ وَذَهَابِهِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ⁽⁴⁾، فَالضَّلَالُ إِذَا الْعُدُولُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَإِذَا الْغَيْبُوبَةُ وَالضِّيَاعُ، وَالْأَوَّلُ يُقَابَلُهُ الْهِدَايَةُ، وَالثَّانِي يُقَابَلُهُ الْوَجْدَانُ، فَهُوَ يُقَالُ لِكُلِّ عُدُولٍ عَنِ الْمَنْهَجِ عَمْدًا كَانَ أَوْ سَهْوًا، يَسِيرًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا⁽⁵⁾، وَالْمَعْنَى هُنَا: فِي خَطَأٍ بَيْنٍ⁽⁶⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

انتشر خبرُها في المدينة، وقالت طائفة من النساء على سبيل الإنكار: امرأة العزيز تُحاول غلامها عن نفسه، قد خالط حُبُّه شَغَافَ قَلْبِهَا، حَتَّى وَصَلَ إِلَى صَمِيمِهِ، إِنَّا لَنَرَاهَا - بِسَبَبِ مُرَاوَدَتِهَا لِعَبْدِهَا، وَحُبِّهَا إِيَّاهُ - فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ⁽⁷⁾.

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ:

دلالة العطف وموقعه في قوله: ﴿وَقَالَ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ الواو عاطفة لتساوق مجريّات القصّة⁽⁸⁾، حكاية لما تناقلته الألسنة عن امرأة العزيز،

انتشار خبر
امرأة العزيز
بين النساء،
وحوضهن فيه
كعادة نساء
القصور

انتقال الخبر من
حدثٍ داخليٍّ في
القصر، إلى خبر
شائع في خارجه

(1) ابن دُرَيْدٍ، جمهرة اللّغة: (ضلل).
(2) ابن عِبَادٍ، المحيط (ضل).
(3) الرَّمْخُسَرِيُّ، أساس البلاغة: (ضلل).
(4) ابن فَارِسٍ، مقاييس اللّغة: (ضل).
(5) الزَّائِجُ، للفردات، والسَّمِينُ الحَلْبِيُّ، غمدة الحُفَّاطِ: (ضلل).
(6) التَّعْلِيْقِي، الكشف والبيان: 5/217.
(7) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب، ص: 335، ونُخْبَةٌ من أَسَاتِذَةِ التَّفْسِيرِ، التَّفْسِيرُ الْمُبْتَسَّرُ، ص: 238، وجماعة من علماء التَّفْسِيرِ، المختصر، ص: 238.
(8) الدَّرَوِيْشُ، إعراب القرآن الكريم: 4/480.

فقد جرت العادة بين النساء، أن يتحدثن عن أمثال هذه الأمور في مجالسهن، ولا يكتمنها خصوصاً إذا كانت صاحبة الحادثة من نساء الطبقة المرموقة كامرأة العزيز⁽¹⁾. وبهذا الحدث تدخل قصة يوسف وامرأة العزيز، فضلاً آخر يكون ميدانه خارج قصر الملك، بانتشار الخبر في المدينة، وذكر ردة فعل امرأة العزيز عند انتشار خبرها بعد ذلك.

سِرُّ ورود الفعل ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ بالتذكير:

لَمْ يَقُلْ: (وقالت نسوة)؛ لأنَّ النسوة اسم مُفْرَد لجمع المرأة، وتأنيته غير حقيقيّ فذلك لَمْ يَلْحَقْ فعله تاءُ التَّأْنِيثِ⁽²⁾، كما أنَّ الفعل المُسند إلى ألفاظ الجمع، غير الجمع المذكر السالم، يجوز تجريدُه من التَّاءِ باعتبار الجمع، وأمَّا الهاء التي في آخر نسوة فليست علامة تأنيث، بل هي هاء (فِعْلَةٍ) جمع تكسيرٍ، مثل: صِبْيَةٍ وَغِلْمَةٍ⁽³⁾.

نكتة جمع التَّكْسِيرِ ﴿نِسْوَةٌ﴾:

(النسوة) اسم جمع امرأة لا مُفْرَد له، وهو اسم جمع قلة، مثله نساء⁽⁴⁾، وقد ذَكَرَ بعض أهل التفسير، أنَّ النسوة كُنَّ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا⁽⁵⁾، ولم يُبَيِّنْ لنا التَّنْزِيلُ عددهنَّ ولا أسماءهنَّ، ولا صفاتهنَّ؛ لأنَّ الفائدة في العبرة محصورة في أنَّ عملهن عمل جماعة قليلة، يُعْهَدُ في العُرفِ اِتِّمَارُهُنَّ واتِّفَاقُهُنَّ على الاشتراك في مثل هذا المكر المنكر، في مدينة كبيرة كعاصمة مصر⁽⁶⁾.

بلاغة التقييد بالوصف ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾، الجار والمجرور في قوله:

جواز تجريد
الفعل من
علامة التأنيث
لجمع الاسم
بعده، وكون
الاسم مؤنثاً غير
حقيقي

الدلالة على
أنَّ ذكر العدد
ليس معتبراً؛
إذ العبرة بعمل
النسوة لا
بعدهنَّ

التلميح لبيئة
الخبر، القابلة
أحوالها
للإشاعة،
وسرعة الانتشار

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/351.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 18/447.

(3) السمين الحلبي، الدُرُّ للصون: 4/172، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/260.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/259.

(5) الثعالبي، الجواهر الحسان: 3/322، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/266.

(6) رشيد رضا، تفسير النار: 12/290.

﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ صِفَةً لـ ﴿نِسْوَةٍ﴾، والمقصود من ذِكْرِ هذه الصِّفَةِ أَنَّهُنَّ كُنَّ مُتَفَرِّقَاتٍ فِي دِيَارٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وهذه المدينة هي قاعدة مَصْرَ السُّفْلَى⁽¹⁾ وَأَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ الْمُسْتَوِطَنَاتِ بِالْمَدِينَةِ، وهو تلميح لبيئة الخبر، القابلة أحوالها للإشاعة وسرعة الانتشار، والمعنى: قال نِسْوَةٌ مِنْ نِسَاءِ مَدِينَةِ مَصْرَ، على سبيل النِّقْدِ والتَّشْهِيرِ والتَّعْجُبِ: إِنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ، صاحبة المكانة العالية، والمنزلة الرَّفِيعَةَ، بَلَغَ بِهَا الْحَالَ فِي انْقِيَادِهَا لِهَوَاهَا، وفي خروجها عن طريق الْعِفَّةِ، أَنَّهَا تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ⁽²⁾.

ووصِفْنَ بذلك؛ لِأَنَّ إِغَاظَةَ كَلَامِهِنَّ بِهَذَا الْاعتِبَارِ لَا تُصَافِهَنَّ بِمَا يُقَوِّي جَانِبَ الصِّدْقِ أَكْثَرَ، فَإِنَّ كَلَامَ الْبَدَوِيَّاتِ لِبُعْدِهِنَّ عَنْ مَظَانِّ الْجَمَاعَةِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى حَقِيقَةِ أَحْوَالِ الْحَضَرِيَّاتِ الْقَصْرِيَّاتِ، لَا يُلْتَفَتُ إِلَى كَلَامِهِنَّ، فَلَا يَغِيظُ تِلْكَ الْإِغَاظَةَ، وَالْكَثِيرُ عَلَى اخْتِيَارِ تَعْلُفِهِ بِ(قال)، ومعنى كون قولهن في المدينة، إشاعته وإفشأوه فيها⁽³⁾.

بلادة حضر الإشاعة:

قوله ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ وعلى اعتبار الجارِّ والمجرور ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾، ظَرْفًا لـ(قال)، يكون المعنى: أَشْعَنَ الْأَمْرَ فِي مَصْرَ⁽⁴⁾، لكون المناخ الاجتماعي والنَّفْسِيَّ مُؤَهَّلًا لِلْإِشَاعَةِ فِي الْإِفْشَاءِ، وهذا معنى يُعْنَى بِهِ⁽⁵⁾.

دلالة الإضافة في ﴿أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ﴾:

لَمْ يَصْرَحِ النَّسْوَةُ بِاسْمِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ، بَلْ أَضْفَنَاهَا إِلَى زَوْجِهَا، إِرَادَةً لِإِشَاعَةِ الْخَبَرِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ إِلَى سَمَاعِ أَخْبَارِ أَوْلِي الْأَخْطَارِ أَمِيلٌ؛ وَالْعَزِيزُ: الْمَنِيعُ بِقُدْرَتِهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ⁽⁶⁾. فذكروها بِالْوَصْفِ

بيان كون المناخ الاجتماعي والنَّفْسِيَّ مُؤَهَّلًا لِإِشَاعَةِ فِي الْإِفْشَاءِ وَالذَّبْوَعِ

استنكار فعلها وتنديد بسقطتها، فيما يتبره عنه من هو دونها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/259.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/351.

(3) الألوسي، روح المعاني: 6/416.

(4) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 4/270.

(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/305.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 10/70.

الَّذِي يُتَادِي عَلَيْهَا بِقُبِيحِ فَعْلِهَا، بِكُونِهَا ذَاتَ بَعْلٍ، فَصُدَّورُ
الْفَاحِشَةِ مِنْ ذَاتِ الزَّوْجِ أَشْنَعُ مِنْ صُدُورِهَا مِمَّنْ لَا زَوْجَ لَهَا،
خُصُوصًا وَأَنَّ زَوْجَهَا عَزِيزٌ مَصْرٌ وَرَئِيسُهَا وَكَبِيرُهَا، وَذَلِكَ أَقْبَحُ
لِوُقُوعِ الْفَاحِشَةِ مِنْهَا⁽¹⁾.

الأحداث تكبر،
وتصغر، وتتسع
دائراتها أو
تضيق، تبعًا لمن
تعلق به الحدث

أَوَّلَ مَرَّةٍ يَكْشِفُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ شَخْصِيَّةِ الْمَرْأَةِ الَّتِي رَاوَدَتْ
يُوسُفَ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ، فَيُحَدِّثُ عَنْهَا بِأَنَّهَا أَمْرَأَةُ الْعَزِيزِ؛ أَيِ: السَّيِّدِ
الْحَاكِمِ فِي مَصْرَ، وَمِنْ هَذَا نَعْرِفُ أَنَّ الْبَيْتَ الَّذِي ضَمَّ يُوسُفَ إِلَيْهِ
وَاحْتَوَاهُ، هُوَ بَيْتُ حَاكِمِ مَصْرَ، وَلَمْ يَكْشِفِ الْقُرْآنُ مِنْ قَبْلُ عَنْ مَرَكَزِ
هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْاجْتِمَاعِيِّ؛ لِأَنَّ الْأَحْدَاثَ كَانَتْ تَجْرِي عَلَى الْمُسْتَوَى
الْمَأْلُوفِ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، عَامَّتِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ، عَلَى السَّوَاءِ فَأَيُّ
بَيْتٍ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَضُمَّ يُوسُفَ إِلَيْهِ، وَأَيُّ أَمْرَأَةٍ كَانَ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ
تَرَاوِدَهُ عَنْ نَفْسِهِ، سَوَاءٌ كَانَتْ أَمْرَأَةً مَلِكٍ أَوْ سُوقَةٍ، فَهِيَ أَمْرَأَةٌ أَيْ
كَانَ وَضْعُهَا الْاجْتِمَاعِيُّ! إِذْ لَمْ يَكُنْ لِيُوسُفَ خِيَارٌ فِي اخْتِيَارِ السَّيِّدِ
الَّذِي يَمْلِكُهُ، أَمَّا حِينَ يَكُونُ لِلْحَدِثِ ذِكْرٌ يُرَادُ بِهِ الْكَشْفُ عَنْ وَقْعِهِ
فِي الْمَجْتَمَعِ، وَآثَرِهِ فِي النَّاسِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَخْتَلِفُ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ
الْحَدِثُ، مِنْ حَيْثُ وَضَعُهُ الْاجْتِمَاعِيُّ وَمَكَانَتُهُ فِي الْمَجْتَمَعِ، فَالْحَدِثُ
يَكْبُرُ أَوْ يَصْغُرُ، وَتَتَّسِعُ دَائِرَتُهُ أَوْ تَضْيِقُ، تَبَعًا لِمَنْ تَعَلَّقَ بِهِ الْحَدِثُ.
فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ حَادِثَةَ أَمْرَأَةِ الْعَزِيزِ، كَانَتْ فِي دَائِرَةِ ضَيْقَةٍ، لَا
تَتَعَدَّى الْمَرْأَةَ، وَيُوسُفَ وَزَوْجَهَا، إِلَّا أَنَّهُ سُرْعَانِ مَا نَفَذَتْ الْعَيُونَ مِنْ
خَدَمِ الْقَصْرِ إِلَى هَذَا السَّرِّ، وَوَقَعَتِ الْأَذَانُ عَلَيْهِ، فَكَانَ هَمَسًا عَلَى
الشَّفَاهِ، ثُمَّ كَانَ حَدِيثًا دَائِرًا عَلَى الْأَلْسِنَةِ، أَقْرَبَ إِلَى الْإِشَاعَةِ مِنْهُ
إِلَى الْحَقِيقَةِ، وَذَلِكَ لِمَا كَانَ مِنَ الْعَزِيزِ فِي مُعَالَجَةِ هَذَا الْأَمْرِ بِحِكْمَةٍ
وَلُطْفٍ وَحَذَرٍ، وَالنِّسَاءُ هُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ بَحْثًا عَنْ أَسْرَارِ الْبُيُوتِ،
وَأَقْدَرُهُنَّ عَلَى فَتْحِ مِغَالِقِهَا وَكَشْفِهَا، وَهِيَ ذِي أَمْرَأَةِ الْعَزِيزِ

(1) ابن قَيِّمُ الْجُوزِيَّةِ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ص: 327.

تصبح هي وفعلتها مع يوسف حديث الطبقة العالية في نساء المجتمع ممن هنَّ على مُداناة وقُرب منها⁽¹⁾.

دلالة قولهنَّ: ﴿تُرَاوِدُ﴾ بالمضارع:

مَجِيء ﴿تُرَاوِدُ﴾ بصيغة المضارع، مع كون المراوِدة مَضَتْ لِقَصْد استحضار الحالة العجيبة، والإنكار عليها في أنفُسهنَّ، ولومها على صنيعها، ونَظيرُه في استحضار الحالة قوله تعالى: ﴿يُجَدِّلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ ﴿٧٤﴾ (هود: 74)⁽²⁾؛ كما أَنَّهُنَّ عَبَّرْنَ بالمضارع للدلالة على دوام المِراوِدة، إفهاماً لأنَّ الإصرار على المِراوِدة صار لها كَالسَّجِيَّة⁽³⁾.

نكتة الإضافة في ﴿فَتَلَّهَا﴾:

إضافة (الفتى) إلى ضمير امرأة العزيز في قوله تعالى: ﴿تُرَاوِدُ فَتَلَّهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾؛ لأنَّه غلام زوجها فهو غلامٌ لها بالتَّبَع ما دامت زوجة لِمَالِكِهِ⁽⁴⁾، وتعبيرهنَّ عن يوسف ﷺ بذلك، مُضَافاً إليها لا إلى العزيز الذي لا تستلزم الإضافة إليه الهوان، بل ربَّما يُشْعِرُ بنوع عِزَّة، لإبانة ما بينهما من التَّباين البين، النَّاشِئُ عن المَالِكِيَّة والملوكِيَّة، وكُلُّ ذلك لتربية ما مرَّ من المبالغة والإشباع في اللوم، فإنَّ مَنْ لا زوج لها مِنَ النِّسَاء، أو لها زوجٌ دنيء قد تُعْذِرُ في مُراوِدة الأَخْدَان، لا سِيَّما إذا كان فيهم عُلُوَّ الجَنَاب، وأمَّا الَّتِي لها زوج، كعزيز مصر، فمِراوِدتها لغيره لا سِيَّما لِعَبْدِها وتماديها في ذلك، غاية الغيِّ ونهاية الضَّلال⁽⁵⁾.

بلاغة اللَّجَاز في لفظ ﴿فَتَلَّهَا﴾:

(الفتى): الطَّرِيُّ من الشَّبَاب والسَّخِيُّ والكريم، ويُطَلَق على

الإنكار عليها،
والإشارة إلى أنَّ
المِراوِدة، صارت
كَالسَّجِيَّة لها

البالغة في
اللوم، لما بينهما
من التَّباين
البين، النَّاشِئُ
عن المَالِكِيَّة
والمُلوكِيَّة

بيان ملازمة
الفتى لِمَالِكِهِ،
كملازمة
الصَّغِير لأهله
وأقربيه

(1) الخطيب، التفسير القرآني: 6/1264.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/261.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 10/71، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/270.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/260.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/270.

المملوك وال خادم، ويُطْلَقُ على الشَّهْمِ ذي المروءة، وأُطْلِقَ على يوسف **﴿لأنَّه جامعٌ لهذه الصفات كُلِّها، ويُكْنَى به عن المملوك وعن الخادم كما يُكْنَى بال غلام والجارية، وهو المراد هنا⁽¹⁾، وإطلاقُ لفظ (الفتى) على المملوك هنا دون غلامها أو خادمها، مِنْ قَبِيلِ المَجَازِ المُرْسَلِ؛ فأُطْلِقَ عَلَيْهِ (فتى) بِعَلاقَةِ اللُّزومِ؛ لأنَّ المملوك يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الصَّغِيرِ المُلَازِمِ فِي الخِدْمَةِ وَقِلَّةِ المُبالاة⁽²⁾، وإنَّما عَبَّرُوا عنه بلفظ (فتى) مُبالغة باللُّوم عليها⁽³⁾.**

بلاغة الفضل في جملة: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾:

جملة: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، في مَوْضِع التَّعْلِيلِ لجملة: ﴿تُرَاوِدُ فَتْنَهَا﴾⁽⁴⁾؛ وكأنَّ سائلاً سأل: لماذا تُراوِد امرأةً مِنَ الطَّبَقَةِ العالِيَةِ في مجتمَعها مملوكها؟ فجاءَ بالفضل تعليلًا لذلك، بأنَّ الدَّافعَ للإقدام على هذا الفعل هو حُبُّها الشَّدِيدُ له، الَّذِي استولى وتمكَّنَ من شَغاف قلبها، فلم يُعَدِّ في قلبها مكانَ لغير حُبِّ يوسف، وجَعَلَهَا تَخْرُجُ عن مَعهودِ جِنْسِها، من نساء المُلُوكِ.

بلاغة الاستعارة في لفظ (الشَّغف):

قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾؛ أي: شَقَّ شَغافَ قلبها، وهو حِجابُها حتَّى وَصَلَ إلى فؤادها⁽⁵⁾؛ أي: أَعلى المَواضعِ من قلبها، أو وسطِ القلوب، فحَبُّه أَحاطَ بقلبها مثل إحاطة الشَّغاف الرَّقِيقِ بالقلب، ومعنى أَحاطَ الحَبُّ به، هو أنَّ اشتغالها بِحُبِّه صارَ حِجابًا بينها وبين جميع ما سِوى هذه المحبَّة، فلا يَخطرُ بِبالها سِواه، ولذا قَدِمَتْ على أَمْرٍ يَتَحَيَّرُ فِيهِ كُلُّ مَنْ عَداها، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ سُلطانُ قِوَاهُ مَغلوبًا لَمَّا

تعليل ما قبلها
ببيان شدة
تعلقها به
وحبها له

تصوير تمكّن
حبها له
في قلبها،
واستحكامه
عليه من جميع
النواحي

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 12/260.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 5/14.

(3) ملا حويش، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: 3/203.

(4) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 12/261.

(5) البيضاوي، أنوار التَّنْزِيلِ: 3/161.

فعلَّتها⁽¹⁾ فهي استعارةٌ تصرّحيةٌ تبعيّةٌ تصوّرُ تمكّنَ الحبِّ من قلبها واستحكامه عليه من جميع نواحيه. قال الشَّريف الرُّضيّ: "وهذه استعارة، والمُرَاد بها أنّ حبه تغلغل إليها، حتّى أصاب شغافها، وهو غشاء قلبها. كما تقول: بطَّنتُ الرَّجل؛ إذا أصبتَ بطنه. ويُقال: معنى شَغَفَهَا؛ أيّ: سلب شغاف قلبها، على طريق المبالغة في وصف حبّها له، كما تقول: سلَّبتُ الرَّجل؛ إذا أخذتَ سلَّبه"⁽²⁾.

بلادة الكناية في ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾:

في قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ الضمير المُستتر في ﴿شَغَفَهَا﴾، عائدٌ على ﴿فَتَّلَهَا﴾؛ ولما فيه من الإجمال جيء بالتمييز للنسبة بقوله: حُبًّا. وأصله شغفها حُبُّه؛ أيّ: أصاب حُبُّه شغافها؛ أيّ: اخترق الشَّغاف فبلغ القلبَ، كنايةً عن التَّمكّن⁽³⁾. وهذا يعني أنّ المشاعر انتقلت من إدراكها إلى عقلها إلى قلبها، وأنَّ الحبَّ تمكّن تمامًا من قلبها⁽⁴⁾.

دلالة الاستئناف في قوله: ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا﴾:

جملة: ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ لإظهار اللوم والإنكار عليها⁽⁵⁾. والجملة مُقرّرة لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع، والتسجيل عليها بأنّها في أمرها على خطأ عظيم⁽⁶⁾.

فائدة التعبير في ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا﴾:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾؛ أيّ: إِنَّا لَنَعْلَمُ أمرها علمًا هو كالرؤية⁽⁷⁾، وإقحام الرؤية، للإشعار بأنَّ حكمهنَّ بضلالها صادر

الدلالة على
شدة التمكن
التام لحبه من
قلبها

تقرير اللوم
والإنكار
السابقين، فضلاً
عن التقرير

الإشعار بأنَّ
حكمهنَّ
بضلالها صادر
عن رؤية وعلمٍ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/305.

(2) الشَّريف الرُّضيّ، تلخيص البيان: 2/170.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/260.

(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 11/6928.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/261.

(6) الألوسي، روح المعاني: 6/417.

(7) البقاعي، نظم الدرر: 10/72.

عن رؤية وعِلْم مع التلويح إلى تنزُّههنَّ عن مثل ذلك⁽¹⁾ والرؤية هنا قلبية علمية؛ لأنَّ الضَّلالَ معنى، والبصر لا يتعلَّق بالمعاني⁽²⁾، واستعمالها بمعنى العلم، حقيقة كاستعمالها بمعنى الإحساس بالبصر، وإذا أريد منها البصرية، ثُمَّ تَجَوَّزَ بها عن العلمية، كان أبلغ في إفادة كونها فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرَّة⁽³⁾. فلم يقلن: (إنَّها لفي ضلال مبين)؛ إشعارًا بأنَّ ذلك الحكم غير صادرٍ منهنَّ مُجازفةً، بل عن عِلْم ورأي، مع التلويح بأنَّهنَّ مُنتزَّهاتٌ عن أمثال ما هي عليه⁽⁴⁾.

أثر اللُّكَّدات في الآية:

أكَّد جملة الفاصلة: ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، ب (إِنَّ)، واللام؛ لتحقيق اعتقادهنَّ ذلك، وإبعادًا لُتُهمَّتهنَّ، بأنَّهنَّ يحسِدْنَها على ذلك الفتى⁽⁵⁾.

معنى (الضَّلال) في السياق:

(الضَّلال) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: مخالفة طريق الصَّواب؛ أي: هي مفتونة العقل بحُبِّ هذا الفتى، وليس المراد الضَّلال الديني، وهذا كقوله تعالى آنفًا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٨﴾ [يوسف: 8]، وكقول بعضهم ليعقوب عليه السلام: ﴿قَالُوا تَأَلَّهْ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ ﴿٩٥﴾ [يوسف: 95]، فلم يكن قولهنَّ هذا إنكارًا للمنكر، ولا كُرهاً للرديلة، ولا نصرًا للفضيلة، بل قلَّنه مكرًا وحيلة، ليصل الحديث إليها، فيحملها ذلك على دعوتهنَّ، والرؤية بأبصارهنَّ ما يكون فيه معذرة لها⁽⁷⁾.

ترسيّة دلالة
حكمهنَّ عليها
من خلال سياق
قولهنَّ عنها

بيان فتنتها
بفتاها مكرًا
وتخيلاً منهنَّ،
لحملها على
دعوتهنَّ لرؤيته

(1) القاسمي، محاسن التَّأويل: 6/171.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/385.

(3) الألوسي، روح المعاني: 6/416.

(4) الألوسي، روح المعاني: 6/417.

(5) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْوير: 12/261.

(6) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْوير: 12/261.

(7) المراغي، تفسير المراغي: 12/137.

بلادة الاستعارة التصريحية في الآية:

قوله تعالى: ﴿لَنَرَنَهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي إنها غائصة في مهاوي الضلالة البينة البعيدة⁽¹⁾، وجيء بحرف الظرفية ﴿فِي﴾، المستعار لشدة التلبس بالوصف بطريق الاستعارة التصريحية التبعية؛ تمثيلاً لحالها في إحاطة الضلال بها بحال الشيء في ظرف محيط به لا يتركه يفارقه، ولا يتطلع منه على خلاف ما هو فيه من ضيق يُلازمه، فأخبر أنها في ضلال، وجعلها مَظروفة للضلال، وهو أبلغ من وصفها بالضلال، فكأن الضلال صار ظرفاً لها⁽²⁾، فحرف الظرفية يُشير إلى تمكُّنها من الضلال وانغماسها فيه، لإفادة أنه ضلال بواح لا شبهة فيه، خصوصاً وقد أكد بوصفه بلفظ: ﴿مُبِينٍ﴾. أو هو مجاز مرسل علاقته الحالية بإطلاق الحال وإرادة المحل؛ إذ جعل الضلال ظرفاً، والضلال ليس ظرفاً يحل فيه المرء؛ لأنه معنى من المعاني، وإنما يحل في مكانه؛ فاستعمل الضلال في مكانه للمبالغة في وصفها بالضلال⁽³⁾.

تصوير شدة
التلبس
بالوصف بمن
أحاط به الضلال

تحتمل الجملة
المجاز المرسل

نكتة تنكير ﴿ضَلَالٍ﴾ و﴿مُبِينٍ﴾ ودلالاتها:

قوله تعالى: ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي: عظيم، عن الحق والرشد والصواب، أو: سنن العقل⁽⁴⁾، فالتنكير للتعظيم والتفخيم والتهويل؛ فهو ضلال هائل لا حد له. ويجوز أن يكون لبيان النوعية؛ أي: أنه نوع خاص من الضلال، ليس من جنس الضلال المعهود، ولا تعارض بين الدالتين؛ لأنهما يؤولان إلى المعنى المقصود في شدة الضلال.

تعظيم الضلال
الذي انغمست
فيه امرأة
العزیز، وتهويله

فائدة التقييد بوصف الضلال بالمبين:

وصف الضلال بـ ﴿مُبِينٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾؛ دليل

بيان فساد
عقلها وشدة
عمائتها؛ مع
وضوح خطأ
ميلها وخلائه

(1) الراغب، تفسير الراغب: 12/137.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 4/562.

(3) عفيف، الشامل: 2/80.

(4) الألوسي، روح المعاني: 6/417.

على شدة فساد عقلها؛ إذ لم تتفطن لضلالتها، في إيقاع عشقتها
بفتاها، ورضاها لنفسها بعد عز السيادة بالسُّفول⁽¹⁾؛ مع أنَّ خطأها
واضح كالمُشاهد المرئي.

❁ الفرق المُجمِعة:

الضلال والغواية:

الضلال فقدان
الطريق الموصل،
والغواية
العدول عن
الطريق القويم
تقصداً

الضلال: فقدان ما يُوصل إلى المطلوب، وقيل: هو سلوك طريق لا
يُوصل إلى المطلوب⁽²⁾، وكلُّ عدول عن النهج عمداً أو سهواً، قليلاً كان
أو كثيراً⁽³⁾، فهو ضلالٌ، وفي باب الحق والباطل يكون الضلال عدولاً
عن الطريق المستقيم⁽⁴⁾، وقد يكون عن قصدٍ أو عن غير قصدٍ، قال
تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 23]، وقال: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 104]، أمَّا
الغواية فهي جهلٌ من اعتقادٍ فاسدٍ⁽⁵⁾، فلا يكون للغاوي مَقْصِدٌ إلى
الطريق المستقيم⁽⁶⁾، والغواية إمعان في الضلال، كما أنَّ الضلال
عامٌ⁽⁷⁾ يكون للعاقل وغيره، فيقال: ضلَّت الدابة ولا يُقال: غَوَتْ
الدابة، أمَّا الغواية فهي للعاقل المُكلف. والضلال نقيض الهدى، قال
الله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: 8]، وقال: ﴿وَأَضَلَّ
فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: 79]، والغواية نقيض الرُّشد، قال
تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ
يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: 146] وقال: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256].
وقد اجتمع ذكر الضلال والغواية في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/72.

(2) الجرجاني، التعريفات، ص: 138.

(3) الكفوي، الكلبيات، ص: 567.

(4) للناوي، التوقيف، ص: 223.

(5) الرَّاغب، المفردات: (غوى).

(6) الكفوي، الكلبيات، ص: 576.

(7) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/199.

صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ [النجم: 2]، وفيه الشَّهادة للرَّسول ﷺ، بأنَّه راشِدٌ تابعٌ للحقِّ لیس بضالٌّ، وهو الجاهل الذي یسلُّك طریقًا بغيرِ علم، والغاوي هو العالم بالحقِّ، العادلُ عنه قَصْدًا إلى غیره؛ فنَزَّهَ اللهُ رسوله وشرَّعه عن مشابَهة أهل الضَّلال كالنَّصارى، وطرائقِ غواية اليهود وهي عِلْمُ الشَّيء وکِتمانُه، والعملُ بخلافه، بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه اللهُ به مِنَ الشَّرْعِ العظیم فی غاية الاستقامة والاعتدال والسَّداد، فأثنى عليه بکمال العِلْم والعمل⁽¹⁾.

فالضَّلال أعمُّ وهو ألا یجد السَّالک إلى مقصدهِ طریقًا أصلاً، والغواية ألا یكون له إلى المقصد طریقٌ مستقیم⁽²⁾. ولعموم الضَّلال یوصِّفه عدولاً عن النِّهج، وانحرافاً عن الهدى، وفقداناً للطَّرِيق المُوصل إلى المقصد؛ وُصِفَتِ امرأةُ العزیز به جزاءً لِفَعْلِهَا.

(1) ابن کثیر، تفسیر القرآن العظیم: 7/411.

(2) التَّیسابوری، غرائب القرآن: 6/199، والتَّهَانَوِي، کَشَاف اصطلاحات الفنون: 2/1119.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.

مج. 22، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك : 7-19-978-9948-768

يشتمل على ارجاعات ببلوجرافية.

مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 7-19-978-9948-768

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»